المحور الثاني: التعلم والتعليم/ عناصر العملية التعليمية.

مقدّمة:

يُعتبر التعليم والتعلّم من أهم العمليات في حياة الإنسان، لأنّهما الوسيلة التي يكتسب بها الفرد **المعرفة والمهارات والقيم** التي تساعده على فهم العالم من حوله، فالمدرسة والجامعة ليستا مكانين لحفظ الدروس فقط، بل هما فضاء لبناء الفكر وتنمية الشخصية.

ولكي نفهم كيف تحدث عملية التعليم، علينا أولًا أن نعرف معنى **التعلّم** و**التعليم**، ثم نتعرّف على **عناصر العملية التعليمية** التي تجعل التعلّم ممكنًا وفعّالًا.

أولًا: ما هو التعلّم؟

التعلّم هو **عملية اكتساب الفرد للمعرفة أو المهارة أو السلوك الجديد** من خلال الدراسة أو الملاحظة أو التجربة، وبمعنى آخر، هو التغيّر الذي يحدث في سلوك الإنسان عندما يتعرّض لتجربة جديدة.

مثال: عندما يتعلّم الطالب حلّ المسائل الرياضية بعد تدريب متواصل، أو عندما يكتسب مهارة الكتابة بلغة جديدة، فذلك هو التعلّم.

ثانيًا: ما هو التعليم؟

التعليم هو **الطريقة التي يُساعد بها المعلم المتعلّم على اكتساب المعرفة والخبر**. أي أنّ التعليم هو **الفعل الذي يقوم به المعلّم**، بينما التعلّم هو **النتيجة التي يحقّقها الطالب**.

مثال: عندما يشرح الأستاذ درسًا في العلوم باستخدام التجارب في المختبر، فهذا **تعليم**، وحين يفهم الطالب الدرس ويستطيع تطبيقه، فهذا هو **تعلّم**.

ثالثًا: العلاقة بين التعليم والتعلّم

العلاقة بينهما مثل **الزرع والنمو**:

- التعليم يشبه **زراعة البذور**، حيث يقوم المعلم بزرع المعرفة.
- أما التعلّم فهو **نموّ هذه البذور** داخل عقل الطالب حتى تُثمر فهمًا ومعرفة.

فلا يمكن أن يحدث تعلّم جيّد دون تعليم فعّال، ولا معنى للتعليم إن لم يؤدِّ إلى التعلّم.

رابعًا: عناصر العملية التعليمية

العملية التعليمية تشبه **فريق عمل متكامل**، حيث يؤدي كل عنصر دورًا محددًا، وإذا غاب أحدهم ضعفت النتيجة، وفيما يلي أهم عناصرها:

1 **المتعلّم (الطالب):** هو **المحور الأساسي** في العملية التعليمية، فكل ما نقوم به من تدريس وشرح ووسائل هو في الأساس لخدمة المتعلّم، ويجب أن يكون الطالب مشاركًا، باحثًا، مفكّرًا، وليس مجرد مستمع.

مثال: في درس اللغة العربية، عندما يشارك الطالب في تحليل النص، أو يقدّم رأيه في المعاني، يكون متعلّمًا نشطًا.

2 **المعلّم:** هو **القائد والموجّه** في الصف، مهمّته ليست فقط نقل المعلومات، بل أيضًا **تحفيز الطلاب وتشجيعهم على التفكير**، ومساعدتهم على حل المشكلات.

مثال: المعلم الذي يستخدم القصص أو الصور أو الألعاب التعليمية يجعل الدرس ممتعًا وسهل الفهم.

3 **الأهداف التعليمية:** هي ما نريد الوصول إليه في نهاية الدرس أو المادة، ويجب أن تكون الأهداف واضحة، مثل:

- أن يعرِف الطالب مفهوم النبات.
- أن يتمكّن من كتابة فقرة صحيحة.
- أن يحترم آراء الآخرين في النقاش.

مثال: في درس العلوم، الهدف قد يكون: "أن يصف الطالب مراحل نمو النبات".

4 **المحتوى أو المنهج:** هو **المادة التعليمية** التي تُدرَّس للطلاب، وتشمل الدروس، الأنشطة، والتطبيقات، ويجب أن يكون المنهج مناسبًا لمستوى الطلاب ومثيرًا لاهتمامهم.

مثال: في مادة التاريخ، يمكن للمنهج أن يشمل قراءة نصوص، مشاهدة فيديو وثائقي، أو القيام ببحث قصير حول شخصية تاريخية.

5 **طرق التدريس:** هي **الأساليب التي يستخدمها المعلم لشرح الدروس**، وتختلف حسب المادة والعمر؛ منها:

- المحاضرة
- المناقشة
- التعلم بالمشاريع
- التعلم بالألعاب

مثال: في درس العلوم، يمكن للمعلم أن يُجري تجربة أمام الطلاب بدلًا من الاكتفاء بالشرح النظري.

6 **الوسائل التعليمية:** هي **الأدوات التي تساعد على توضيح الدرس**، مثل: الصور، الفيديوهات، النماذج، الخرائط، أو حتى اللوحة الذكية، فالوسيلة تجعل التعلّم أكثر تشويقًا وتفاعلًا.

مثال: استخدام فيديو يشرح دورة الماء في الطبيعة يُسهّل على الطالب فهم الفكرة بدلًا من القراءة فقط.

7 **البيئة التعليمية:** هي **المكان والجو الذي يتم فيه التعلم**، وتشمل الفصل، المقاعد، الإضاءة، والجو النفسي والاجتماعي بين المعلم والطلاب، فالبيئة المريحة والمشجّعة تساعد الطالب على التعلم بهدوء وثقة.

مثال: صفٌّ نظيف ومنظّم، ومعلم يشجّع الطلاب على طرح الأسئلة، يجعل الجو الدراسي مريحًا ومحفّزًا.

8 **التقويم (التقييم):** هو **الطريقة التي نعرف بها مدى تعلّم الطلاب**، مثل الاختبارات، أو الملاحظة، أو المشاريع، يساعد التقييم في معرفة نقاط القوة والضعف عند المتعلّم.

مثال: إجراء اختبار بسيط أو طرح أسئلة في نهاية الدرس لقياس فهم الطلاب.

9 **التغذية الراجعة:** هي **الملاحظات التي يعطيها المعلم للطالب بعد التقييم**، ليُخبره بمستواه وما يحتاج إلى تطويره، وهي مهمة لأنها تشجّع الطالب وتساعده على تحسين أدائه.

مثال: أن يقول المعلم لطالب: "إجابتك جيدة جدًا، لكن انتبه إلى طريقة الترتيب في الكتابة".

خامسًا: مثال تطبيقي شامل:

لنفترض أن المعلمة تُدرّس درسًا بعنوان "**أنواع النباتات:**"

1. **الهدف:** أن يتعرف الطلاب على أنواع النباتات.
2. **المحتوى:** درس مصوّر في الكتاب مع صور لنباتات.
3. **الطريقة:** المعلمة تبدأ بسؤال تفاعلي: "من منكم لديه نبات في البيت؟"

4. **الوسائل:** صور، فيديو قصير، ونموذج نبات حقيقي.
5. **البيئة:** صفٌّ منظم وهادئ، والمقاعد مرتّبة على شكل دائرة.
6. **التقويم:** تطلب المعلمة من الطلاب رسم نبات وتحديد أجزائه.
7. **التغذية الراجعة:** تُثني على الإجابات الصحيحة وتشجع من يحتاج إلى مساعدة.

بهذه الطريقة يكون الدرس تفاعليًا وممتعًا، ويتحقق فيه **التعليم الفعّال والتعلّم الحقيقي**.

الخاتمة:

إنّ التعليم والتعلّم عمليتان متكاملتان: فالمعلم يوجّه، والمتعلم يشارك، والمحتوى يُقدَّم بوسائل مشوقة وأهداف واضحة، داخل بيئة مريحة ومحفّزة، وعندما تتكامل هذه العناصر كلها، يتحقق التعلّم الناجح الذي يُنمّي التفكير، ويُعدّ الطالب لحياة أفضل.